مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

- مقومات مدرسة النجاح في التعليم المغربي
- بيداغوجيا المشروع، الإطار المرجعي
- أزمة تعليم أم أزمة مجتمع؟
- بيداغوجيا الإدماج
- مهارة الاستماع

العدد الثالث والأربعون– أبريل 2010

مهارة الاستماع
أهميتها وتقنيات تطويرها في العملية التعليمية والتواصلية

د. امحمد إسماعيلي علوي

الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية

1 – مـــدخـــل

يقسم الباحثون والمهتمون بحقل اللسانيات التواصلَ – بالنظر إلى طبيعة اللغة المستعملة – إلى نوعين كبيرين هما: التواصل اللفظي والتواصل غير اللفظي. ومن أساسيات التواصل غير اللفظي أنه يعتمد بالأساس على الأيقونات التواصلية المتنوعة (صور – علامات – ألوان..) والإشارات والرموز الثقافية والسياسية والدينية وغيرها مما لا يعتبر جزءً ضمن التواصل اللفظي. هذا الأخير يقوم على استعمال المهارت التواصلية الأربع: الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة، وسبل تطويرها والدمج بينها من أجل تواصل فعال ومؤثر.

وتعتبر المهارتان الأوليان (الاستماع والمحادثة) مهارتين مكتسبتين، لأن الطفل يكتسبهما منذ مراحله العمرية الأولى وبطريقة فطرية ومن دون مجهود أو وعي؛ خلافا للمهارتين الأخريين (القراءة والكتابة) اللتين يحتاج فيهما إلى دربة وتعلم في أقسام المدارس وفق مناهج تربوية متنوعة ومختلفة. ولأن مهارة الاستماع هي أول مهارة يكتسبها الطفل في حياته، فإننا سنركز عليها في هذه الدراسة ونبين أهميتها في العملية التواصلية وكذلك بعض التقنيات التي يمكن استعمالها بغرض تطويرها وجعلها مهارة فاعلة في أي تواصل، سواء التواصل التربوي أو التواصل الجماهيري أو باقي أنواع التواصل الأخرى..

2 – مهارة الاستماع: البعد اللغوي

"(سمع) السين والميم والعين أصلٌ واحد، وهو إيناسُ الشيء بالأُذُن من النّاس وكلّ ذي أُذُن. تقول: سَمِعْت الشيء سَمْعاً"[1].

أما (استمع استماع)، على وزن (افتعل افتعال)، "فهو الإِصْغَاءُ نحوُ: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به، إذ يستمعون إليك ـــــ ومنهم من يستمع إليك ـــــ ومنهم من يستمعون إليك ـــــ واستمع يوم ينادي المنادي﴾"[2].

والسمع، من خلال هذه التحديدات اللغوية، عملية لاشعورية يتنقل بموجبها الصوت من مصدر مرسل إلى متلق مستمع دون قصد منه أو إرادة. أما الاستماع ففيه إرادة وقصد من المستمع بغرض الاستماع لشيء محدد يريده. ففي الاستماع إذن، تركيز وحضور البديهة واستعداد للتلقي المعلومات.

"إن الاستماع محكوم بعمليات عقلية مختلفة أهمها الفهم والتحليل والاستنتاج والتميز، وتتم هذه العملية فور الاستماع وبعده. لذلك تحتاج مهارة الاستماع إلى ذهن صاف قادر على الإدراك والربط والحفظ والتلخيص" (علي عيسى، 2004: 114).

ولقد حدد غرايس وسكينر Skinner & Grise أربع خصائص ميزا بها الاستماع عن السمع وهي (غرايس وسكينر، 1995: 4ـ5):

ـ1 ـ الاستماع عبارة عن نشاط غير مستمر، وإنما هو محدود بما نريد أن نستمع إليه خلافا للسمع الذي يعد نشاطا مستمرا في الزمان والمكان.

ـ2 ـ الاستماع مهارة متعلمة تحتاج للتدريب والتطوير، أما السمع فهو مكتسب. إنه قدرة طبيعية؛ فالطفل بإمكانه أن يسمع الأصوات المختلفة حتى قبل أن يولد.

ـ3 ـ السمع يعني ببساطة استقبال الأصوات من حولنا. ويكفي أن نبتعد عنها أو أن نخفض من مستواها إذا كان مصدرها آلة ما حتى لا نسمعها. لكن الاستماع مهارة نشيطة تتطلب التركيز والتفسير والتحليل.

ـ4 ـ مهارة الاستماع تأتي لتحقيق هدف معين (الحصول على معلومات – الإقناع والاقتناع..) خلافا للسمع.

ونجد القرآن الكريم قد حدد مستوى ثالثا للاستماع في قوله تعالى: "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا". (الأعراف، الآية: 204). فقد أتبع لفظ (استمعوا) بلفظ آخر (أنصتوا)، وهما لفظان متفاوتان في المعنى؛ إذ "نَصَتَ يَنْصِتُ، وأنْصَتَ وانْتَصَتَ: سَكَتَ"[3].

و"الإنصات هو السكوتُ والاستماعُ للحديث: يقول: أَنْصتُوه وأَنْصتُوا له؛ ويقال: أَنْصَتَ إذا سَكَتَ؛ و أَنْصَتَ غيرَه إذا أَسْكَتَه. وأَنْصَتُّ الرجلِ إذا سَكَتَّ له؛ وأَنْصَتُّه إذا أَسْكَتُّه. وأَنْصَتَ يُنْصِتُ إنْصاتاً إذا سَكَتَ سُكوتَ مُسْتَمِع؛ وقد أَنْصَتَ وأَنْصَتَه إذا أَسْكَته [4]. فالإنصات لا يكفي فيه حضور الذهن والتركيز من قبل المستمع لاستقبال المعلومات، وإنما يتطلب إزالة كل ما من شأنه أن يؤثر سلبا في عملية الاستماع من منبهات خارجة عن الذات المستمعة، وتهيئ للفضاء العام الذي يحدث فيه التواصل.

وهكذا يكون الإنصات درجة متقدمة من درجات السمع والاستماع. ففيه سكوت وتركيز شديد من قبل المستمع (عامل ذاتي / داخلي) وهذه درجة الاستماع، مع زوال كل المنبهات والمشوشات الصوتية من الفضاء الذي يجري فيه التواصل (عامل خارجي) وهذه درجة الإنصات. يقول فيغاروار: "إن الإنصات، هو أحسن طريقة للاستماع الجيد". (Martin، 1999: 24).

وعليه، "يُنظر للإنصات الجيد بأنه الإدراك والفهم" (Ibid، 24).

إن "الاستماع ليس إجراءً لنقل فكرة من ذهن المتكلم إلى ذهن المستمع، إنما هو إجراء عمل المتكلم والمستمع معا لبلوغ فهم مشترك" (Devito، 1997: 53). وهكذا تصير "عملية الفهم عملية ذهنية معقدة جدا؛ حيث لا يمكن حصر العوامل السيكولوجية والفسيولوجية والمعرفية والعقلية التي تتداخل وتتضافر لحصول الفهم وتحققه، كما لا يمكن عد وإحصاء العوامل المتشعبة التي تحول دون حصوله وتعوقه". (بوشوك، 1994: 242_243).

انطلاقا مما تقدم، يمكن أن نحدد سلمية عملية الاستماع على النحو الآتي:

السمع (عملية فيزيائية) «الاستماع (عملية نفسية ذاتية)» الإنصات (عملية نفسية / عملية خارجية).

3 - أنواع الاستماع

يمكن أن نتحدث عن أنواع الاستماع بالنظر إلى الهدف منه، أو بالنظر إلى النتائج المتحققة عنه. بالنظر إلى الهدف من الاستماع نتحدث:

أ. الاستماع للفهم وجمع المعلومات: يسعى المستمع من خلاله للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات والمعطيات حول موضوع أو مجال محدد أو علم من العلوم لتحقيق الفهم والإدراك وتحصيل المعرفة. "إنك عندما تستمع لتفهم فإن هدفك يكون هو اكتشاف الفكرة المركزية والنقط الأساسية للخطاب". (Byrns، 1994 : 23).

وعادة ما يكون المستمع، في هذه النوع من الاستماع، أقل معرفة من المتكلم. وخير مثال على ذلك جماعات المتعلمين (تلاميذ؛ طلاب، باحثون).

ب. الاستماع من أجل التقييم والانتقاد: في هذه الحالة يكون المستمع ذا معرفة لا تقل عن معرفة المتكلم، وقد يكون أحسن منه في حالات أخرى. ويكون الهدف من الاستماع هنا هو تكوين آراء وأحكام عن المتكلم أو عن الموضوع وانتقاد ما جاء في كلام المتكلم من مواقف ومعلومات.. يتجلى هذا النوع في المناظرات والحوارات الثنائية بين طرفين يناقض أحدهما الثاني في الأفكار والتوجهات والآراء مثل ما يحدث في الحوارات ذات الصبغة السياسية. وعادة ما يكون هذا النوع من الاستماع سلبيا لأن انطلاق المستمع من فكرة الانتقاد والتقييم تجعله لا يركز في استماعه إلا على المواقف والآراء التي تتخذ حجة ضد المتكلم ومن ثمة يغض الطرف عن كل فكرة جيدة أو موقف سليم إزاء قضية ما، اللهم إلا إذا كان التقييم تقييما علميا يهدف إلى الوقوف عند سلبيات الخطاب وإيجابياته على السواء.

ج. الاستماع من أجل حل المشكلات: نجد هذا النوع عند أهل الاختصاص في علم من العلوم التي تستثمر فعليا وعمليا في الحياة العامة والاجتماعية للناس، مثل علم النفس وعلم الاجتماع والقانون. فالطبيب النفسي مثلا يسمع أكثر مما يتكلم لأن طبيعة عمله تفرض عليه إيلاء أهمية كبرى لما يقوله المريض(المتكلم) حتى يتمكن من الوقوف عند العقدة أو العقد النفسية التي يعاني منها هذا الأخير. ومن خصائص هذا النوع نجد ما يلي: (إسماعيلي علوي، 2009: 39)

- يهتم المستمع بالتفاصيل ودقائق الأمور وصغائرها، لأن حل المشكلات يتطلب الاهتمام بكل الكلام الوارد على لسان صاحب المشكل.

- يكون المستمع على درجة عالية في هذه المهارة (الاستماع) خلافا لغيره، فهو يعرف كيف ومتى يستمع وما هي المعلومات التي يجب الاحتفاظ بها من المعلومات التي يمكن تجاوزها.

- عادة ما يوجه الاستماع بأسئلة توجيهية مصاحبة من قبل المستمع لجمع الكثير من المعلومات حول قضية محددة أو نقطة دون أخرى حتى يسهل الفهم والتفسير وإعطاء الحل الصحيح.

- يهم هذا النوع، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، أهل الاختصاص مثل علماء النفس والاستشاريين الاجتماعيين والعلماء وكل من يدخلون في علاقات تواصلية فعلية ذات طبيعة اجتماعية مع الناس.

د. الاستماع من أجل تحقيق المتعة والسعادة: ويهم الجمهور الذي يستمع لغرض الضحك والمرح، كما يحدث في المسارح واللقاءات الفكاهية المباشرة.

وبالنظر إلى النتائج المتحققة عن الاستماع نتحدث عن:

أ. الاستماع الفعال / الإيجابي: وهو في نظر باركر Barker (1971) "مرتبط بالاستماع وفق

هدف". Barker، 1971) في Pearson & al، 2003 : 140). وهذا يعني ضرورة تطابق المعنى الحاصل لدى المستمع مع ما تكلم به المتكلم. أي تحقق الفهم الجيد لمقاصد المتكلم ومعانيه. ولا نتعرف ذلك إلا من خلال رد فعل المستمع. فإذا تبين من رده أنه فهم ما وجه إليه من كلام واستوعب المعنى جيدا، حتى وإن لم يوافق عليه، كان الاستماع آنذاك فعالا / إيجابيا."

إن الاستماع الفعال هو الذي يحاول فيه المستمع، بالدرجة الأولى، أن يتأمل رسائل الآخرين (Adler et al.، 1995:119_120). ولذلك فالمستمع الجيد عند ديمبليبي وبورطن Dimbleby & Burton هو ذاك الشخص الذي يعرف كيف يؤول ويترجم الألفاظ (...) بالإضافة إلى أنه هو الذي يتفادى الشرود ويطلب توضيح ما يبدو له أنه مشوش وغير واضح. (Dimbleby & Burton, 1995:192).

ب. الاستماع غير الفعال / السلبي: عندما لا يتمكن المستمع من فهم الخطاب ولا يستطيع أن يكون فكرة عما ورد فيه من معاني وأفكار، أو كان رد فعله دليلا على سوء فهمه لما استمع إليه يكون حينها الاستماع سلبيا وغير فعال.

4 – أهمية مهارة الاستماع في العملية التعليمية والتواصلية

"تعد مهارة الاستماع أهم المهارات التواصلية الأربع. فهي أول مهارة يكتسبها الإنسان في هذا الوجود. بل إن المستوى الأول منها، ونعني به السمع، يتحقق قبل خروج الجنين إلى الوجود. فقد دلت بحوث علمية مختلفة إلى أن الجنين يصبح قادرا على سماع الأصوات منذ الشهر السادس من تكوينه في بطن أمه. كما أن مهارة الاستماع تعتبر أساسا لباقي المهارات الأخرى، لاسيما مهارة المحادثة؛ فالذي يسمع جيدا يتكلم جيدا. كما أن الذي لا يسمع لا يمكنه أن يتكلم على الإطلاق. ولذلك نقرن في اللغة بين كلمتي (الصم) و (البكم) فنقول: (الصم البكم) لأنهما بمثابة الشيء الواحد" (إسماعيلي علوي، 2009: 41).

ويشير بعض علماء اللسانيات والتواصل إلى أن مهارة الاستماع تشكل النسبة الأكثر بالنظر إلى باقي المهارات اللغوية الأخرى وإن اختلفوا في تحديد النسبة بدقة. فحسب وولفين وكواكلي Wolvin & Coakley يشكل الاستماع 54، 93 ٪ من العملية التواصلية Wolvin & Coakley، 1992:19_21) في: Byrns،1994: 21. و 53٪ حسب بيرسن وآخرين (Pearson & al، 2003 : 134). و45٪ حسب رانكين Rankin،1929) في: DeVito،1993:0-59.

والشيء الأساسي من هذا كله أننا نخصص وقتا أطول للاستماع أكثر من الوقت الذي نخصصه للحديث أو القراءة أو الكتابة.

تجدر الإشارة هنا فقط إلى أن:

أ) هذه النسب المائوية تبقى خاصة بالثقافة الأمريكية لأنها حددت بناء على بحوث واستمارات واختبارات ميدانية على المواطن الأمريكي.

ب) أجريت هذه الأبحاث – كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين – في صفوف الطلاب الأمريكيين بالمدارس والجامعات للتمكن من مقارنة فعلية وحقيقية لكافة المهارات. ففي حجرات الدرس يتم تفعيل المهارات الأربع ومن ثمة تسهل المقارنة بينها.

ج) يصعب الحديث عن مهارتي القراءة والكتابة والنسب المائوية التي تشكلها من مجموع العملية التواصلية خارج حجرات الدرس. فلا يتم الحديث، إذن، إلا عن مهارتي الاستماع والمحادثة فقط. كما يصعب تحديد النسبة المائوية لكل منهما إلا في ضوء دراسات متخصصة تستند إلى معطيات فعلية وميدانية لا تخرج عن نطاق ثقافة واحدة؛ إذ يمكن أن نجد ثقافات لا تشكل فيها مهارة من المهارات إلا نسبة ضئيلة، في حين قد نجد أن هذه المهارة نفسها تشكل النسبة المائوية الأكبر في ثقافة أخرى. فلا نعتقد أن الاستماع، مثلا، يحظى بأهمية بالغة في المجتمعات العربية التي تسعفنا الملاحظة الأولية لواقعها وممارساتها التواصلية بالقول بأن مهارة الحديث هي التي تشكل النسبة الأكبر مقارنة بباقي المهارات الأخرى.

5 – بعض الاستراتيجيات لتطوير مهارة الاستماع

أ. استراتيجية الانتباه والتركيز: على المستمع أن يتفرغ كليا لما يلقى إليه من كلام / خطاب وذلك بالانتباه والتركيز الجيد. ومن مظاهر هذا التركيز عدم شغل التفكير أو الذهن بأي شيء آخر. ولتحقيق هذه الاستراتيجية، يقترح بودهيستس Buddhists الخطوات العملية الآتية: (Ibid: 9 _ 97)

- جرد ذهنك من الأفكار والأحكام المسبقة وانتبه إلى أنك تستمع إلى الآخرين.

- ركز على الشخص الذي تتواصل معه. قل لنفسك: "أريد أن أركز على هذا الشخص وعلى ما يقوله ويحس به".

-لا تؤنب نفسك إذا وجدت أن ذهنك ينشغل بأمور أخرى، فقط أعد التركيز على الشخص وعلى ما يقوله.

- لا تتفاجأ إذا وجدت أن أفكارا مشوشة تتداعى إلى ذهنك أو إذا وجدت نفسك تفكر في الأجوبة بدلا مما يقوله الآخرون، فهذا طبيعي. فقط حاول إبعاد تلك الأفكار عن ذهنك وأعد التركيز من جديد على الشخص الذي تتكلم معه.

- ذكر نفسك بأن هذه الاستراتيجية عادة ذهنية وطريقة في الحياة.

ويمكن أن نقترح في هذا الصدد أيضا الاستعانة بقلم ومذكرة لتدوين أفكار المتكلم وتسجيل النقط الرئيسية من كلامه حتى يسهل تذكرها والعودة إليها أثناء العلمية التواصلية.

- تأكد من أنك فهمت جيدا وجهة نظر الآخر من خلال الاستفسار وإعادة فكرته أو وجهة نظره بشكل ملخص مثل: (قلت كذا وكذا.. هل هذا ما تعنيه حق؟ ـ هل تعني بكلامك أنت ترفض..ـ من فضلك ماذا تقصد؟ ـ هل يمكن أن تشرح أكثر..). فهذه الطريقة تجعلك أكثر فهما لما تستمع له، إما بتأكيده أو تصحيحه.

ونشير في هذا الصدد إلى أن بعض العلماء العرب القدامى قد تنبهوا إلى أهمية عملية الاستماع ودورها الفعال في نجاح العملية التواصلية فأدلوا بدلوهم في هذا الموضوع محاولة منهم لتطوير هذه المهارة الأساسية، فكانوا سباقين إلى دراسة بعض جوانب التواصل الإنساني؛ لاسيما ما يتعلق بالمهارات اللغوية الأربع. ومن هؤلاء ابن المقفع الذي قدم لنا في كتابه (الأدب الكبير والأدب الصغير) أهم التقنيات المساعدة على تطوير مهارة الاستماع قائلا:

"تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام. ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول. و(..) [لا تقطع] حديث الرجل قبل أن يفضي إليك بذات نفسه".(5)

ب. استراتيجية الانتقاء والتنظيم: وهي استراتيجية تقوم على انتقاء الخطاب الهدف وتنظيمه بطريقة تسهل تخزينه في الذاكرة. فمعلوم أننا نستقبل العديد من الرسائل والخطابات من حولنا ولكننا نهتم فقط ببعضها ونغض الطرف عن بعضها الآخر. ومادامت هذه الاستراتيجية قائمة على الانتقاء، فإنها "ترتبط ببعض المحددات هي درجة اهتمامنا بالرسالة (الكلام) وكذا البنيات الذهنية" (Ibid، 98). ونعني بها الخطوات الذهنية التي تمكن الفرد من الانتقاء وحفظ المعومات الضرورية حسب الموضوع وحسب الأهداف من الاستماع.

وليس كل من يستخدم هذه الاستراتيجية يعد مستمعا جيدا، إنما "المستمع الجيد – حسب رشيف Fisher – هو الذي يحتفظ بالأفكار الأساسية والانطباعات العامة". (Fisher، 1987 في: Wood، 1997 : 101). بمعنى آخر هو الذي يعرف ماذا ينتقي؟ وكيف؟.

هذه الاستراتيجية تتطلب تركيزا جيدا وتدريبا مستمرا حتى تصير عادة ذهنية عادية وبسيطة يمكن استخدامها بكل فعالية وكفاءة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن استراتيجيات تطوير مهارة الاستماع مرتبطة فيما بينها ارتباطا وثيقا. فاستراتيجية الانتقاء والتنظيم تحتاج إلى استراتيجية سابقة عنها هي استراتيجية الانتباه والتركيز.

خلاصة:

يتبين إذن، أن مهارة الاستماع مهارة أساسية في العلمية التواصلية؛ لاسيما التعليمية منها، لأنها أم المهارات وأولها. كما تستمد أهميتها أيضا من كونها مهارة استدخالية تمكن الكائن البشري من استدخال وتخزين المعلومات في ذاكرته.. ومن ثمة، فإن أي خلل في استعمالها على الوجه المطلوب ستصحبه مشاكل على مستوى الفهم والتقييم والأحكام التي يصدرها على الموضوعات التي يتناولها بالدراسة أو التحليل. كما أن تطوير هذه المهارة كفيل بتعزيز القدرات الفردية وتمكين الشخص أو المتعلم من امتلاك المعلومات على نحو صحيح ومضبوط وسليم.

الهوامش:

(1) – انظر معجم المقاييس في اللغة. لابن فارس. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

(2) ـ انظر كتاب مفردات القرآن للراغب الأصفهاني. ج:1 ص: 390.

(3) ـ انظر معجم القاموس المحيط. الفيروزآبادي. ضبط وتحقيق الشيخ يوسف البقاعي. دار الفكر.

(4) ـ انظر لسان العرب. لابن منظور. ج. 8، ص: 112.

(5) ـ انظر الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع، ص 119.

المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

1 – إسماعيلي علوي، امحمد (2009). التواصل الإنساني: مفاهيم ومبادئ وأساسيات. الطبعة 1. مطبعة سجلماسة للطبع والتوزيع، مكناس.

2 – بوشوك ، المصطفى بن عبد الله (1994). تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها. دراسة نظرية وميدانية في: تشخيص الصعوبات. اقتراح مقاربات ومناهج ديداكتيكية ـ بناء تصنيف ثلاثي الأبعاد في الأهداف اللسانية؛ ط2؛ مزيدة ومنقحة؛ تقديم الأستاذ عبد الهادي بوطالب؛ (الرباط).

3 – راشد علي عيسى (2004). مهارات الاتصال. كتاب الأمة، العدد 301. السنة 42. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

4 - Adler, Ronald. B, Lawrence B. Rosenfeld and Neil Towne (1995). Interplay the process of interpersonal communication, th ed, © 1995, 1992, 1989, 198, 1983, 1980, Harcourt Brace. Holt, Rinehart and Winston, Inc.

5 - Byrns, James H. (1994). Speak for yourself: an introduction to public speaking, 3rd Ed. McGraw-Hill, Inc.

- DeVito, Joseph A. (1993). Les fondements de la communication humaine, traduction de Johanne L. Massé & Louise Rousselle, Québec: gaëtan morin éditeur.

7 - DeVito, Joseph A. (1997). Human Communication: the basic course, 7th edition. Longman.

8 - Dimbleby, Richard and Graeme Burton (1995). More than words: an introduc-

tion to communication, 2nd ed, 1st published 1992, reprinted 1993, 1994, 1995, London & New york: Routledge.

9 - Grice, G. L. & Skinner, J. F. (1995). Mastering Public Speaking. Second Edition. United States of America.

10 - Judy Pearson. Paul Melson. Scelt Titsworth –Lyaan Mater. (2003), Human communication. Mc Graw – Hill Higher Education.

11 - Martin, Jean-Claude (1999). Le guide de la communication. Marabout. Paris.

12 - Wood, Julia T (1997). Communication in our Lives. Wadsworth Publishing Company, Inc.

بيداغوجيا الإدماج مدخل لأجرأة الكفايات

د.محمد شرقي

يستدعي الحديث عن بيداغوجيا لكفايات الإجابة عن مجموعة من التساؤلات نعتقد أنها، من جهة، ستساعدنا على إيجاد موقع لها ضمن ما يسمى بالمقاربة بالكفايات، ومن جهة أخرى الوفوف على الجديد الذي يمكن أن تضيفه على مستوى التفكير في الممارسة البيداغوجية وتطويرها. من بين هذه التساؤلات ذاك المرتبط بعلاقة الإدماج كبيداغوجية بالكفايات، وما طبيعة هذه العلاقة: هل هي علاقة يطبعها التكامل والاستمرار أم أنها علاقة تقوم على القطيعة بمعناها الابيستيمولوجي؟ ثم كيف تشتغل هذه البيداغوجيا وما الذي تتغياه؟ وأخيرا ما الذي يمكن أن تضيفه للممارسة البيداغوجية – بالخصوص داخل مجال المدرسة المغربية التي بدأت تستنبتها وبشكل متدرج ؟

إن الإجابة على مثل هذه التساؤلات يفترض في نظرنا الرجوع إلى الوراء ومن ثم التساؤل عن البدايات، عن أصل الكفايات ؟

أولا :من بيداغوجيا الأهداف إلى المقاربة بالكفايات:

لقد ساهم التدريس بالأهداف، كما نعرف،في تحقيق تقدم ملموس على مستوى تنظيم وعقلنة العملية التعليمية / التعلمية حيث لم يعد هناك مجال للنوايا والعفوية والتدخل في آخر لحظة كما كان الأمر عليه في السابق.إن المدرس سيجد نفسه، مع التدريس الهادف، مضطرا للتفكير في كل ممارساته المهنية بما يتطلبه ذلك من تحديد دقيق لأهداف التعلم والعدة البيداغوجية اللازمة لتحقيق تلك الأهداف من طرق ووسائل، وكذا آليات التقويم